

بمناسبة قرب تطبيق قانونه المحال العامة :

وباء المقاهى والمراقص

إن انتشار المقاهى فى مصر وعواصمها ، وازدهارها بالزواد تكلايا التحل قبيل الشروق هو عنوان الخمول والتواكل ، ومداغة الترهل والشحوب ، ومبائة الفساد الخلقي والاجتماعى . وأكبر مشجع على التعطل وإفناء الوقت فى التافه ، والإعراض عن كل ما هو منتج ومجد ، ومضيق للأموال فى الكاليات ، وقد تكون الضروريات فى انتظارها ، ولولا هذه المشكلة لخلق الكثيرون لأنفسهم من الأعمال ما يغذى نشاطهم . ويقتل وقتهم . ويدر عليهم من النفع المادى والأدبى ما هم والمجتمع فى حاجة شديدة اليه ، وإلا فأين تستخدم المعنويات المستجمة حين تتفاعل بالقوة ، وتندحر بالنشاط ، وتمتلئ بالأمل — عند ما يمتحنى المقهى — إلا فى البحث عن عمل قوامه الكسب ، أو مداعبة الأهل وإرشاد البنين ، أو فى رحلة أو تمرين رياضى أو تصفح كتاب ، أو الاستماع إلى محاضرة أو أنشودة بريئة ، أو التوفر على صورة فنية يستعاض بها (عن اللدش والبدش ، أو الكومي والعشرة الطيبة) أو الخوض فى أعراض الناس وتشويه سيرهم ، إلى غير ذلك مما لا يحيد أكثر غشاة المقاهى سواء ، فإن عز على بعضهم شئ ، مما تقدم بحثوا حولهم عن مهجر يلتمسون عنده موردا من موارد الرزق مهما تفهت الثرة وقل الإنتاج .

فالمقاهى إذن مساعد قوى على نمو جيش الكسل والخمول ، والدعة والترف ، وخسارة كبرى على الإنتاج العام والخاص .

والمقاهى وكر المؤامرات على الأمن والنظام ، ففيها يلتقي أفراد الميسر ، وعلى موائلها توضع الخطط الجهنمية للقتل أو السرقة ، ومنها ينفر كل إلى أداء مهمته التى نيطت به . والمقاهى مرصد عام لمغازلة النوافذ . واستعراض السائرات وانتظار الرفيقات . والاتصال بواسطة "المسرة" بجنات الجهات ، إلى غير ذلك مما يروج سوق الأعراض لذبيحة ، ويساعد على تعذيب الفضائل ، وتفشى أمراض المجتمع .

والمقاهى حلبة كلامية معينها الحقد والحسد ، وطعامها التابيحون فى الحياة ، وتوابلها التندر السمج ، والمشاحة الخشنة والتناوب الحاد ، والتخاصم المرذول ، والتباعد الكريه .

والمقاهى مائدة الكرم المصطنع ، ومأدبة الحفاء المتكلف ، وماتم الميزانية المحدودة ، وقبر الادخار المشروع .

والمقاهى مصرع الوقت الخلى ، وعدو الزمن الشجى ، ووحشة الأسرة الحاجعة ، وممول الصحة البافعة .

والمقاهى مباءة تنقل جرائيمها إلى النفوس حب المكيفات المختلفة ، ومترلق بطيء إلى موائد القهار ، ثم منحدر سريع إلى هاوية الخراب .

وإن كانت للمقاهى فى القاهرة وبعض العواصم الكبرى شىء من النفع الاجتماعى كقراءة الصحف ، والاستماع إلى الاذاعات ، وتبادل بعض الأحاديث البريئة ، والبحوث الأدبية ، فمافائدها فى الريف المصرى على ما فيه من فطرة وفقر وإضناء ، تموزه الراحة الباكرة ، والاستجمام المخفف ، والبعد عن المنهكات الصحية ، من نقيع الشاى تعانقه أوراق السنط وينور القرظ وتذخين التبغ العادى والمسل ، ومسحوق البن ممزوجا بالقول والذرة (المفشر) إلى غير ذلك مما ينهك قواه وميزانيته الواهنة ، فن الرحمة بالريف وسكانه إلغاء هذه المقاهى إلغاء لا هوادة فيه ولا لين . إلغاء ينادى به القانون دون تدخل حاكم أو ظرف مخفف ، على أن ذلك يجب أن تنسحب سياسته على المدن أيضا . وإذا كان لا بد من مجتمعات يسكن الناس فيها بعضهم إلى بعض ، ويديرون فى هدوئها وجمالها رضى الأحاديث السياسية والعلمية والأدبية ، فليكن ذلك فى نواد خاصة تؤلف بين المشارب المتقاربة ، وتجمع بين الثقافات الموحدة ، والفنون أو الحرف المتجانسة ، وتساعد على الانسجام والراحة ، وتشجع على الاطلاع والمراجعة ، والدراسة والاستماع والإسماع .

لقد هال المرحوم على باشا مبارك أن يكون بالقطر المصرى فى سنة ١٨٧٦ (١٠٦٧) مقهى و ٤٨٦ حانة ، فإذا يكون شعور هذا العالم الجليل لو أنه ماش حتى رأى هذه الأرقام المتواضعة نظفر إلى أن تبلغ ١١٧٤٤ وأن فى القاهرة وحدها كما هو واقع التعداد التجارى الرسمى لسنة ١٩٣٧ من هذه المحال ما أربى على ما كان بمدينة لندن فى أزهى عصور مقاهيها التى كانت منتشرة فى شوارع (الوست أند) قبل سنة ١٧١٥ على الرغم من أن لندن تحتفظ دائما بما يقرب من نصف سكان القطر المصرى ، وعلى الرغم من الفرق الهائل بين دخل الفرد الانكليزى والفرد المصرى فى جميع العصور .

وقد ذكر الأستاذ أحمد عطية الله فى كتابه " لندن " " أن المقاهى كانت شائعة فى لندن شيوعا كبيرا إلى ما قبل اقرن الماضى ، وأخذت تتطور على مر الزمن حتى استحوالت

إلى أندية وحانات ومطاعم ومشارب للشاي والمين ، وهذه الأندية الكثيرة التي ترى في كثير من أركان "بيكا ديل" بند المقاهي التي كانت منتشرة في القرن الثامن عشر ، وقد كان لكل جماعة من أهل لندن مقهى خاص يجتمعون فيه ويقامرون فيه بزهرة الزرد إلى المزيج الأخير من الليل .

وكانت هذه المقاهي تفتح أبوابها لجميع الطبقات بلا استثناء ، وكانت مقاهي (الوست أند) هذه مسرحاً للفضول والاضطراب بسبب النزاع الذي كثيراً ما نشأ حول حلقات القمار والذي كثيراً ما كان ينتهي باستعمال السيوف ، ثم حارب رجال الحفظ .

وقبل سنة ١٧١٥ كان عدد المقاهي في لندن يربو على الألفين ، يتردد عليها أهل كل طبقة وكل حرفة وكل حزب ، ثم أخذت هذه المقاهي في التطور والتحول إلى أندية خاصة بطبقات معينة ، ففي سنة ١٧٦٤ مثلاً تحول مقهى "تومز" إلى ناد باشتراك قدره جنيه سنوياً وحذاً هذا الحذو كل مقهى يجد عدداً من رواده يمكنهم أن يتضامنوا سنوياً ليقسوا بابه في وجه الجمهور .

واليوم إذا سرت في شارع "سانت جيمس" وغيره من شوارع "الوست أند" لا تجد أثراً لهذه المقاهي ، بل لا تجد من أصحاب المطاعم ومشارب الشاي أو الخمر من يجرؤ على أن يضع مقعداً في خارج مشربه أو على رصيف الشارع .

فلندن التي حافظت على حياتها الاجتماعية في كثير من الوجوه ، لم تلازم هذا الجود وهذه المحافظة في تاريخ مقاهيها التي لو بقيت إلى الآن لكانت لندن اليوم غير ما نعرفها .

نعم هذه لندن زعيمة العواصم العالمية اجتماعياً وحليماً وتقليدياً ، تنفع بالتأند والعيتد وتنطور مع كل مجد جديد ، فإلى متى تأخذ عنها التوافه والكليات ، والسفاهات والتبذلات دون الأخذ بلب الحضارات وعصارة التجارب والمدنيات ، ولم لا نسمح عن جبين المجتمع المصري وصمة انتشار المقاهي والحانات وننتفع بتجارب الأمة الانجليزية العجيبة الفذة في هذا الباب دون العالمين ؟ !

الذي لاشك فيه أن ما عدا "لندن" من العواصم العظيمة لا تزال تسج وتزخر بالمقاهي يتنافس الفن الغربي في تجميلها وتنسيقها وإعدادها بكل وسائل الترفيه والراحة والإغراء والترفيه ، فمن جزم مكيف يخفف وطأة الطقس على روادها صيفاً وشتاءً ، إلى شفافية واتساق في كل ما تقع عليه باصرتك ، إلى جمال إدارة وحسن استقبال ودقة نظام وسرعة إجابة ، إلى عاملات جميلات رشقات ، إلى إذاعات وتوقيعات لمشاهير الموسيقيين العالميين ، إلى مسرات على كل منضدة ، بحيث تستطيع أن تتصل بكل جالس في المقهى أوفى الخارج

دون نهوض أو عاء ، إلى صفوف متقادمة من خيوط الماء تراقص على نفحات الموسيقى كما صدحت ، على أن امدن الفرنسية والإيطالية لم تكن بذلك بل اندطارت فيها اهوايات والتزوات البشرية كل مطار ، وتنفست في طرق الإغراء وأساليب الفتنة فأضافت إلى المقاهى والحانات والمرافق وملاعب القمار المنتشرة في أكثر مدنها دورا تنفرد بعرض الشرائط المهيجة والحمامات ذات الأنبورة المثيرة ، وبين عرض الشرائط والحمامات يحدث ما يحدث مما عرف في باريس Bordelia (بوردل) مستتر تحت ماسموه معهد الشباب .

هذا بعض ما يجرى في هذه المدن ، ولكنه ليس إلا حلقة من سلسلة المغريات الفتانة جذبا للسائح والوافدين على هذه البلاد والخصول منهم على أكبر قسط مستطاع من الأموال الأجنبية ، ولا أدل على ذلك من أن هذه الحال الخبيثة لا يسمح للفرنسيين بدخولها كما لا تسمح الحكومة الإيطالية بدخول الإيطاليين إلى ملاعب القمار عندها ، اللهم إلا المهرة المحترفين لا يتراز أموال الأجانب السياح ، كما لا يسمح في ألمانيا للألمانيين بدخول المقاهى بعد ساعة معينة من الليل ، اللهم إلا لأحد رجلين : ألماني ياتج مع بعض الزوجة من نوبة العمل الليلية ، أو أجنبي عن البلاد ، ولكن انجلترا المهذبة المدربة أبت على كرامتها الوسائل البراقة والكسب الزائف في اجتذاب السائحين ، وثمرت سلامة المجتمع الانجليزي ووفرة الانتاج فيه والاعتصام بالوقار على بعض الدخل الخارجى ، فتي تحذو مصر حذوها . وتقليل في ذلك خطاها ؟

ليست مقاهينا من النوع الفاضح حتى تصلح وسيلة من وسائل الاغراء الجاذب لهوية السياح إلى مصر ، وليست من النوع المجهز بما يهذب الهيئات المتقاربة في ثقافتها ، وليست من النفع الاجتماعى بحيث يشفع قسطها منه لإضرارها به .

صحيح إنها مهنة تعول ١٢٠,٠٤٤ مستخدما بين المقاهى والحانات والبارات حسب التعداد التجارى الرسمى الأخير ، ولكن مصلحة الأمة فوق مصلحة بضعة آلاف . سيا أنها مهنة ليست ذات بال أو احترام في حياة الصناعة ، ولذلك سجل هذا العدد الكبير في التعداد الرسمى تحت عنوان — الحرف النافهة — أو ما يشبه هذا المعنى .

لهذا ، نرجو من وزارة الشؤون الاجتماعية بمناسبة تطبيق قانون المحال العامة الجديد إلغاء هذه المقاهى بالتدرج ومساعدة الهيئات ذات الصبغة الواحدة أو المتقاربة ، على اتخاذ نواد خاصة يساعد جزوها على الراحة والترفيه والتفكير والمطامعة ، والبحث في مختلف الشؤون الدامة والخاصة .

البنسيونات والجبر المفروشة :

لقد كفل القانون الجديد كل وسائل المحافظة على أموال وأرواح الزلاء في هذه المحال من ناحية ، وعلى سلامة الأمن العام من ناحية أخرى في الحدود الممكنة ، ولكنه سكت عن وسائل الضمان الخلقى فيها ، والمعروف حتى الآن أن أكثر هذه المحال مواخير تستتر خلف قانون المحال العامة ، وأن ضررها الاجتماعى والصحى أخطر من أن يسكت عنه ، فكثير من الأجنيبىات اللاتى لا يردن احتراف البقاء علنا لا يجدن من وسائل الكسب الميسور إلا استئجار شقة في منزل ثم عرضها على الراغبين فى السكنى "بنسيونات ، أو جبر مجهزة" وما هى إلا جلسات بين المؤجرة والمستأجر حتى تزول الفوارق ويتم الاختلاط وتوضع البرامج وتورد البضائع بين عيى الشرائع والقوانين ، وتحت أنف الدنيا بأسرها ما دام ذلك ثمرة للتواطؤ والرضا .

ولو أن هاتيك النسوة ممن يحترفن ذلك بطريقة رسمية لقلنا ما تقوله "اللائحة المنكودة" لهن تحت منظار الرقابة والكشف ، وأن الضرر سيستدرك يوما ما ولو فوق جسر من الضحايا . ولكن الأمر أدهى من ذلك وأمر .

إننا لانكر أن بعض العائلات يقمن بإيجار بعض الجبر مساعدة لما على دفع الأجر الكلى لسكنها تحت ضغط الحاجة الملحة مع المحافظة على ناموس الكرامة والشرف ، ولكن الذى لا شك فيه أن أكثر هذه المحال شبه مواخير بكل ما فى هذه الكلمة من لعنة ولوثة ونفرة ، وجدير بها أن تحذف من قانون المحال العامة ، وأن تخضع لنظام خاص بها رحمة بصحة المجتمع ، ومحافظة على بقايا الخلق والفضيلة فى البلاد لأنه يتعذر — فيما اعتقد — الوصول إلى ضمانات أخلاقية فى مثل هذه المحال ، سيما وقانون العقوبات لا زال محتفظا بوضعيته الأولى فيما يتعلق بجرائم الزنا والديانة ، فإلى أن يلغى البغاء ويلغى قانون العقوبات بما اقترح المصلحون تلقيحه به ، من تشديد العقوبة فى هذا الباب — نرى استبعاد البنسيونات والجبر المفروشة من قانون المحال العامة ، وإخضاعها لقانون خاص بها يتفق وحالتها الشاذة .

مكاتب التخميد :

لم يعن القانون الجديد بهذه المكاتب ، ولم تتداركها لائحة العاهرات بعنايتها ، وكان جديرا أن يشملها القانون الجديد تساهلا ، أو تحتويها اللائحة تحقيقا وعدلا ، ولعل ذلك ناشئ من أنها مرض حديث ، وإن كان من النوع الخبيث ، فكاتب التخميد فى أغلب حالاتها أشبه بسوق الرقيق ، أو هى الدرجات الأولى فى طريق الفواية والبقاء بالنسبة للنساء بما تحمل من فساد وعار وشقاء .

فإذا ما زرت أحد هذه المكاتب ألفت نفسك أمام مجموعة عجيبية مختلفة الأجناس والأسنان والألوان . خط الأمى فى وجوههم سطور القلق على ما ينتظرونه من مسير . ثم لا تلبث أن ترى وافداً ينهض صاحب المكتب أو صاحبه للترحيب به فيتحدثان بالألفاظ والكنى ، ثم ينادى على فتاة كاعب من بين هذا المزدحم ، فيقف الوافد دونها يذرعها بعينه طولاً وعرضاً ، ثم يتفرسها ويسألها وقد يتسم كل للأحراب تساماً لها معناها . فتسمع عند ذلك الزفات الحارة من خلف البراق الحزينة ، وترى الأصابع وقد راحت تفتل الشوارب فى حالة عصبية مكبوتة ، وتلمح التراسل بين النحاح الغاضبة ، وتشاهد بسيمات الحب تنقل على شفاه الأطفال والفتيات الصغار ، وكل هذا إحساس من الجميع بسر المؤامرة التى آثرت الخادمة الجميلة عليهم جميعاً ، ولا تكاد هذه الضحية تغادر المكتب إلى منزل مخدومها حتى تستدعى المسرة صاحب المكتب أو صاحبه وإذا بسائل يسأل عن ممرضة أو مربية أفريقية شابة جميلة ، وما لقب ممرضة أو مربية إلا اصطلاح أو ستار يخفى خلفه أغراضاً سامية ، وإلا فالممرضة لها مورد آخر غير مكاتب التخديم ، ولا يكاد تاجر الأعراض يودع هذه وتلك حتى يستقبل أخريات ، فهذه قد انتهت مهمتها التى نذبت لها أمس ، وهذه طردتها وبنة البيت التى صفتها كيت وكيت ... لأنها رأته مع زوجها أو ابنها أو طاهيها فى حالة أثار غضبها عليها ، أما الثالثة فقد انحنت على أذنه وأسرت إليه بكلام ذيلته علناً بأن لها صديقة فى إحدى مراكز رعاية الطفل ستعرض حالتها عليها لعلها تعرف سر مرضها !! والخبيث يتسم للجميع ويقبض عن الجميع ومن الجميع ، دون مبالاة بما يرتكب من جرائم ، ودون رقيب عليه ولا حسيب ، وتكون النهاية المحزنة لأكثر هؤلاء أن ينخرطن فى سلك العاهرات بعد أن يكن قد قن بإضاد أكبر عدد ممكن من اختلطوا بهم إلى أطباء الأمراض السرية ، وهذا هو السبب المباشر فى إعراض البيوتات المحافظة عن بضاعة هذه المكاتب والاستعاضة عنها ببنات الريف اللواتى لفتهم الفطرة بسياج السذاجة ومنطقتهم بنطاقات الطهر والعفاف .

فكيف ترك هذه المباءات دون رقابة مباشرة تفتك بالصحة والأخلاق العامة وتطيح بالنظم القائمة على حمايتها إلى حد ما ؟ !

إنه لا بد من رقابة فعالة ، ولا بد من تقسيم المسؤولية بين أصحاب هذه المكاتب وبين المخدومين حتى تصبح الخادمة وديعة مصونة بينهما ، ولا يسمح للفتاة أو السيدة أن تعرض نفسها للخدمة إلا وبيدها بالإضافة إلى شهادة تحقيق الشخصية ، شهادة طبية ، تثبت حالتها النسوية ، ووضعيتها القائمة ، وعند ذلك يقبلها المكتب فى سياج هذه الأوصاف ثم يسلمها إلى مخدومها ، ثم تشرف جهة حكومية — تخصص لذلك — على هذه الحالات فى فترات معينة لتأكد عدم تغيرها ، إلا إذا كان ذلك بالطرق الشرعية .

صحيح إنه يمكن الحصول على مثل هؤلاء النسوة عن غير طريق هذه المكاتب، ولكن
شر المكاتب يبدو في تسهيل الاتصال بين الراغبين وسرعته ، وسهولة الاستبدال والتغيير
حسب الأهوية والغايات .

وصحيح إن ما يقترحه من شهادات لا يقف حائلا دون وقوع هذه الجرائم، ولكنها على
أى حال تقلل من كثرتها وتخفف من حدتها إلى أن يأتى القانون المناسب لها بمد صدور
قانون إلغاء البغاء .

المراقص :

أما المراقص فلم يرد لها ذكر في القانون الجديد والحديث عنها حديث بدى، ولهذا نراها
من وضوح الضرر وإفساد المجتمع بما لا يحتاج إلى شرح طويل؛ فهي أشبه ما تكون
ببؤرة تجمع فيها كل شرور المحال العامة وقاذورات المواخير، وهي أجدر من كل ما تقدم
بإزالة. ولحكمدارية العاصمة جهد مشكور في الحد من شرور هذه المراقص
منذ زمن بعيد ، ولكنها ثمرة لأخلاق بعض ولاية الأمور في الحكمدارية وبعض أقسام
البوليس التي تتبعها هذه المراقص ، ولهذا تظهر هذه الجهود وتخفى ، وتشتد وتهون .
وذلك نرى أنه لا بد من عمل تشريعى حازم لطمر هذه المستنقعات الآسنة إنقاذا لثروة
البلد وأخلاقه وصحته ومجتمعه، ولإخذ الإصلاح طريق البقاء والخلود في ظل هذا التشريع .

هذا ما عنت لنا ملاحظته على القانون رقم ٣٨ سنة ١٩٤١ بمناسبة قرب تطبيقه، نضعه
تحت أعين المصلحين راجين أن يوفق الله ولاية الأمور إلى تلافى ما فاتنا من إصلاح وتدارك
ما عجز الماضى عن تحقيقه ، وأن يكون ذلك بطريق التشريع لا بطريق الوعظ والارشاد،
أو الكتبة والتصوير فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ع . ا . ا